With thanks to the Schimmel Family for their generous sponsorship of Covenant & Conversation, dedicated in loving memory of Harry (Chaim) Schimmel.

The translation to Arabic was made possible through the generous funding of The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion.

"ڤايتسيه" هو النصّ الأسبوعي السابع من كتاب "بريشِيت" (سِفر التكوين) ويبدأ هذا النصّ الأسبوعيّ بالآية العاشرة من المَقطع الثامن والعشرين وينتهي بالآية الثالثة من المَقطع الثاني والثلاثين.

نُورٌ فِي أَزْمِنَةٍ مُظْلِمَةٍ

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

ما الذي جعل يعقوف/يعقوب هو الأبَ الحقيقيّ للشعب اليهوديّ، لا أفْرَهام/إبراهيم، ولا يتسحق/إسحق، ولا حتى نبيّ الله ورسوله موشيه/موسى؟ يُشار إلينا دومًا باسم "جماعة يعقوف"، أو "بني بِسرائيل"، أي أبناء بِسرائيل، وهو الاسم الذي أعاد الله عزّ وجلّ تسمية يعقوف به لاحقًا. فيعقوف هو الرجل الذي نحمل اسمه، مع أنه لم يكن أوّل مَن بدأ المسيرة اليهوديّة، فقد كانت البداية مع أفْرَهام. ولم يمرّ يعقوف باختبارٍ مماثلٍ للذي خاضَه يتسحق حين همّ أفْرَهام بالتَّضْحِيَةِ به، ولم يَقُد الشعب خارج أرض مصر، ولم يتلقَّ التوراة من الله عزّ وجلّ ليُبَلِّغها إلى بني بِسرائيل كما فعل موشيه. ولا شكّ أنّ جميع أبناء يعقوف ظلّوا ضمن العهد والإيمان، بخلاف أبناء أفْرَهام أو أبناء يتسحق، لكنّ هذا لا يجيب على السؤال، بل يُعيد طرحه من زاوية أخرى: لِمَ نجح يعقوف مع أولاده، بينما لم ينجح أفْرَهام ويتسحق؟

يبدو أنّ الجواب يكمن في نصَّي التوراة الأسبوعيّين: "ڤايتسيه" و"ڤايِشلاح". ففيهما تُروَى قصة حياة يعقوف، التي لم تكن تنعم بالأمن والاستقرار، بل كانت سلسلةً من الرحيل، والعزلة، والهروب من خطر إلى خطر. وفي أحلك لحظات حياته، حيث لا رفيق يؤنس وحدته، ولا وطنَ يأوي إليه، أتته أعظم رؤاه. إذ يروي لنا نص "ڤايتسيه"، أنّ يعقوف، وبينما كان هاربًا من أخيه عيسَف/عيسو، يتوقّف في مكان ما ليقضي الليل، دون أن يجد ما يسند به رأسه سوى الحجارة، وهناك يُبصِرُ رؤيا تُبدّل مساره الروحيّ، وَرَدَتْ تفاصيلها ابتداءً من الآية الثانية عشرة وانتهاءً بالآية السابعة عشرة من المَقطع الثامن والعشرين من سفر التكوين:

"فَرَأَى حُلْمًا، كَانَ سُلَّمًا مُنْتَصِبًا عَلَى الْأَرْضِ، وَرَأْسُهُ يُدَانِي السَّمَاءَ، وَمَلَائِكَةُ اللهِ تَصْعَدُ وَتَنْزِلُ فِيهِ... وَاسْتَيْقَظَ يَعْقُوفُ مِنْ نَوْمِهِ، وَقَالَ: إِذًا، نُورُ اللهِ فِي هٰذَا الْمَوْضِعِ، وَأَنَا لَمْ أَعْلَمْ! فَخَافَ وَقَالَ: مَا أَخْوَفَ هٰذَا الْمَوْضِعَ، وَمَا هٰذَا إِلَّا بَيْتُ اللهِ، وَهٰذَا بَابُ السَّمَاءِ".

وكما يُروَى في النّص الأسبوعي "ڤايِشلاح"، كان يعقوف فارًّا أيضًا، لكن هذه المرّة من لافان، وكان يشعر بخوفٍ كبير من لقاء أخيه عيسف مجددًا، فوجد نفسه وحيدًا في عتمة الليل مرّة أخرى، يصارع كائنًا غامضًا لم يُذكَر اسمه، وذلك كما ورد ابتداءً من الآية التاسعة والعشرين وانتهاءً بالآية الحادية والثلاثين من المَقطع الثاني والثلاثين من سفر التكوين:

"قالَ لَهُ: 'ما اسْمُكَ'، قالَ: 'يَعْقُوفُ'. قَالَ: لا يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوفَ، بَلْ بِإِسْرَائِيلَ،* لِأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ... فَدَعَا يَعْقُوفُ اسْمَ الْمَكَانِ فَنِيئِيلَ، قَائِلًا: لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ** وَنُجِّيَتْ نَفْسِي".

كانت هذه هي اللحظاتُ الحاسمةُ في حياةِ يعقوف الروحيّة؛ لحظاتُ اللّقاءِ مع الله عزّ وجلّ، لكنّها لم تقعْ في أماكنَ آمنةٍ واضحةِ المعالم، بل في "مساحاتٍ بينيّة"، أي مساحة تقع في المنتصف، فلا هي نقطة بداية الرحلة، ولا هي نهايتُها، بل في ذاك الفضاءِ المعلّق، بين ماضٍ محفوفٍ بالمخاطر، ومستقبلٍ يكتنفه المجهول. وهناك، في أشدِّ لحظاتِ الضَّعف، حيث يكون يعقوف محاطًا بالخطر من كلِّ الجهات، يلتقي باللهِ عزّ وجلّ، ويجد في قربه الشجاعةَ للاستمرار، رغم مَخاطر الطريق.

وهذه هي القوّة والعزيمة التي أورثها يعقوف للشعب اليهوديّ. وإنّ ما يثير الإعجابَ لا يقتصر فقط على أنّ هذا الشعبَ الصغير قد نجا من مآسٍ كان من شأنها أن تُفنيَ أممًا بأسرها، مثل دمارِ الهيكلَيْن، والنفي البابليّ والرومانيّ، والطّرد والتّشريد والمجازر في العصور الوسطى، وصعودِ معاداة الساميّة في أوروبا في القرن التاسع عشر، والمحرقة النازيّة، بل إنّ الأعجبَ من ذلك كلّه، هو أنّ الديانة اليهوديّة كانت، بعد كلّ كارثة، تنهضُ من رمادها، وتُجدّد نفسها، وتسمو إلى آفاقٍ أسمى من ذي قبل.

ففي أثناء النفي البابليّ، عمّقَت اليهوديّة علاقتها بالتوراة. وبعد دمار أورشليم القدس على يد الرومان، أنتج الشعب اليهوديّ أعظم نتاجات التوراة الشفهيّة: وهي الـ"مِدراش"، والـ"مِشناه"، والـ"غماراه". وفي العصور الوسطى، صَدَرَتْ روائع إبداعيةٌ في الفقه، وتفسير التوراة، والشِّعر، والفلسفة. وبعد ثلاث سنواتٍ فقط من المحرقة، أُعلِنَ قيامُ دولةِ بِسرائيل، حيث عاد الشعب اليهوديّ إلى أرضه التاريخيّة بعدَ أحلَكِ ليالي المنفى وأطوَلِها.

حين تولّيتُ منصب كبير الحاخامات، كان عليّ أن أخضع لفحصٍ طبّي. وضعني الطبيبُ على جهاز المشي وطلبَ مني أن أسيرَ بسرعةٍ كبيرةٍ جدًّا. فسألتُه: "ما الذي تفحصه؟ هل تفحصُ أقصى سرعةٍ يُمكنني الوصول إليها، أم قدرتي على التحمّل؟". فأجابني: "لا هذا ولا ذاك. ما أفحصه هو الوقت الذي يستغرقه نبضكَ بعد انتهاء التمرين، حتى يعود إلى حالته الطبيعيّة".

حينها أدركتُ أنّ الصحّة تُقاس بقوّة التعافي. وهذا صحيحٌ بالنسبة للجميع، لكنّه صحيحٌ بشكلٍ مضاعف لدى القادة، ولدى الشعب اليهوديّ، ذاك الشعب الذي وُجِدَ ليكون أُمّةً من القادة، وهذا، على ما أعتقد، هو المعنى العميق للآية السادسة من المقطع التاسع عشر من سفر الخروج: "وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي، مُلُوكًا وَأَئِمَةً وَشَعْبًا مُقَدَّسًا".

إنّ الأزمات هي جزءٌ لا يتجزّأ من حياة القادة؛ بل هي جزءٌ من طبيعة القيادة نفسها. وحين سُئل هارولد ماكميلان، رئيس وزراء بريطانيا بين عامَيْ 1957 و1963، عن أصعب ما واجهه خلال تولّيه منصبه، أجاب إجابته الشهيرة: "الأحداث الطارئة، يا عزيزي، الأحداث الطارئة". فالأمور السيئة تحدث، وحين تقع، على القائد أن يتحمّل هو المسؤولية والعبء، كي ينامَ الآخرون مطمئنّين في فراشهم. والقيادة، لا سيّما في الأمور الروحيّة، محفوفةٌ بالتوتّر والضغط النفسيّ العميق.

لقد تمنّى أربعةٌ من أنبياء التوراة أن يموتوا، بدلًا من أن يُكملوا الرسالة، وهم: نبيّ الله ورسوله موشيه، وإلياهو/إلياس، وزخاريا/زكريا، ويوناه/يونس. ولم يقتصر هذا الأمر على العصور القديمة فحسب؛ إذ عانى أبرهام لنكولن

---

*ملاحظة توضيحيّة من المُترجِم: اسم "بِسرائِيل" في العبرية مشتقّ من الجذر (س.ر.ه أو س.ر.ر) الذي يعني جاهد أو صارع أو كافح. وقد قال له الملاك: "لِأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ". والمقصود أنّه لم يَخَف من مواجهة الناس ولا من مواجهة ملاكٍ مُرسَلٍ من الله عزّ وجلّ (صحيح أنّ يعقوف لم يكن يعلم في البداية أنّه ملاكٌ أرسله الله، إلّا أنّ الله أرسل له ملاكًا بالفعل)، وبسبب هذه الشجاعة التي أظهرها أثناء الصراع والمواجهة تغيّر اسمه إلى بِسرائِيل.

** ملاحظة توضيحية من المترجم: يجب أن يُفهَم تعبير "وجهًا لوجه" هنا مجازيًا فقط، لأنّ الله عزّ وجلّ لا يمتلك "شكلًا" أو "جسدًا" أو "وجهًا"، فهو منزّه عن هذه الأوصاف البشرية. وكانت التوراة أول كتاب مقدّس يؤكّد على هذه الحقيقة ويوضّحها بلا أدنى مجالٍ للشكّ.

من نوباتِ اكتئابٍ عميقةٍ، وكذلك ونستون تشرشل الذي وصف اكتئابه بـ"الكلب الأسود". وحاول كلٌّ من غاندي ومارتن لوثر كينغ الابن الانتحار في سنٍّ المراهقة، وعانيا من الاكتئاب لاحقًا في حياتهما عندما أصبحا بالغَيْن. وهذا أيضًا كان حالُ العديد من كبار الفنانين والمبدعين، مثل مايكل أنجلو، وبيتهوفن، وفان غوخ.

فهل العَظَمَةُ هي التي تؤدّي إلى لحظاتِ اليأس؟ أم أنّ لحظاتِ اليأس هي ما تؤدّي إلى العَظَمَة؟ هل السبب هو أنّ القادةَ يمتلكونَ حِسًّا أعمقَ في فَهمِ أزماتِ عصرهم وضغوطاته، وهم بالتالي يُضمرون آثار هذه الضغوطات داخلهم؟ أم أنّ أولئكَ الذين اعتادوا التوتّرَ والألمَ النفسيّ في حياتهم العاطفية، يجدونَ ملاذًا ومتنفسًا لهم في عيشِ حياةٍ استثنائيّة، قد تكون ممارسة القيادة جزءًا منها؟ لا نجدُ جوابًا شافيًا لهذا السؤال في الأدبيّات حتّى الآن، لكنّ يعقوف كان، بلا شكّ، أكثرَ أجدادنا الأوائل تقلُّبًا في عواطفه. إذ غالبًا ما تحلّى أقرَبهم بالسكينة، حتّى في مواجهة المحن الكبرى، وكان يتسحق منطويًا على نفسه ومنعزلًا. أمّا يعقوف، فقد كان يشعر بالخوف، وكان يُحبُّ بعمق، وقضى وقتًا من عمره في المنفى أكثر من غيره من أجدادنا الأوائل. ومع ذلك، فقد صمدَ وثابر وواصل المسير. ومن بين جميع شخصيّات سفر التكوين، كان هو الناجيَ الأعظم.

إنّ القدرة على الصمود والتعافي هي جزءٌ أساسيٌّ من متطلبات القيادة. وبمعنى آخر: إنّ الاستعداد لعيش حياةٍ محفوفةٍ بالمخاطر هو ما يميّز القادة عن غيرهم من الناس. وهذا ما عبَّر عنه ثيودور روزفلت في واحدةٍ من أعظم الخُطب التي قيلت في معنى القيادة:

"ليس من ينتقد هو المهمّ، ولا ذاك الذي يشيرُ إلى كيفَ تعثّر الرجلُ القويّ، أو كيفَ كان يمكن لمن أقدم على الفعل أن يُتقنه بشكلٍ أفضل. بل إنّ الفضلَ يعود إلى ذلك الرجل الذي كان في الساحة فعلًا، ذاك الذي لطّخَ وجهه الغبارُ والعرقُ والدمُ، والذي يُكافح بشجاعة، فيُخطئ، ويُقصِّر، مرّةً تلو الأخرى، إذ لا جهدَ بلا خطأٍ أو تقصير، والذي يسعى حقًّا إلى الإنجاز، ويعرفُ الحماسةَ العظيمة، والإخلاصَ العميق، ويُفني قُواهُ ونفسَه في سبيلِ قضيّةٍ نبيلة، ذاك الذي إنْ حالفه التوفيق، عرفَ في النهاية نشوة الإنجاز الكبير، وإنْ فشل، فقد فشلَ على الأقلّ وهو يُغامر بشجاعة، ولهذا لن يكون له مكانٌ أبدًا بين تلك الأرواح الباردة والخائفة، التي لا تعرفُ لا النصرَ ولا الهزيمة".[1]

لقد واجه يعقوف خصومةَ أخيه عيسف، وغِلَّ حَموِه لافان، والتوتّر بين زوجاته وأولاده، وموتَ زوجته الحبيبة راحيل في وقتٍ مبكّر، وفقدان ابنه الأقرب إلى قلبه يوسف، طيلة اثنتين وعشرين سنة، بعد أن باعه إخوته وسيق إلى مصر. وقد قال لفرعون عندما شاخ هذه الكلمات الواردة في الآية التاسعة من المقطع السابع والأربعين من سفر التكوين: "سِنُو (سِنِينُ) عُمْرِي كَانَتْ قَلِيلَةً رَدِيئَةً". ومع ذلك، فقد التقى في طريقه بالملائكة، وسواء كانوا يُصارعونه أو يصعدون ويهبطون على السُّلَّم نحو السماء، فقد أناروا الليلَ بِنورٍ من السُّموّ الرُّوحيّ.

أن تحاول، أن تسقط، أن تخاف، وأن تُكملَ الطريق رغم كلّ ذلك، هذا ما يتطلبه الأمر لتكون قائدًا. وذاك ما كان عليه يعقوف، الرجل الذي كانت أعظم رؤاه السماويّة في أحلكِ لحظاتِ حياته.

---

1. ثيودور روزفلت، "المواطنة في الجمهورية"، خطاب ألقاه في جامعة السوربون، باريس، 23 نيسان/أبريل عام 1910

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*
Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion*